تشمل تأثيرات وأهدافا غير معلنة

حقيقة الأهداف الإسرائيلية في قناة البحرين (الأحمر - الميت)

المشروع كان أحد أحلام أو - نبوءات- الزعيم الصهيوني هرتزل في كتابه «الأرض الموعودة»

تدفق حوالي 2 مليار متر مكعب سنوياً من مياه البحر الأحمر إلي البحر الميت سيحدث تأثيرات بالغة الخطورة علي كنوز وثروات البحر الأحمر

القاهرة/١٤أكتوبر/وكالة الصحافة العربية:

لا يزال الحديث موصولاً حول مشروع قناة البحرين في إسرائيل، والتي تربط البحر الأحمر بالبحر الميت، وذلك عقب موافقة البنك الدولي علي تمويل هذا المشروع، وما أعلنه وزير المواصلات الإسرائيلي مؤخراً عن اتفاق مع الأردن علي مشروع مشترك لإنشاء خط سكة حديد يمتد من إسرائيل إلي العراق ودول الخليج عبر الأردن،مما يمثل تهديداً خطيراً يبرز عدة تهديدات أمنية واقتصادية تضر علي المستوي القومي والقطري ينبغي التنبيه لمخاطرها والتحسب جيداً لمواجهتها مبكراً.

ولايدرك الكثيرون أن هذا المشروع كان أحد أحلام - أو نبوءات- الزعيم الصهيوني تيودور هرتزل التي طرحها وإن كان بشكله الحالي مختلف عما جاء في كتابه "الأرض الموعودة" ونشره عام 1902، حين تحدث عن قناة لوصل البحر المتوسط "من هاديرا" بالبحر الميت ، وبعد ذلك بسنوات وضع عدد من المهندسين البريطانيين والألمان مشروعات لمد نفس القناة من البحر المتوسط إلي البحر الميت ولكن بغرض توليد الكهرباء، كما نوقش في المؤتمرات الصهيونية التي عقدت بعد ذلك.

وفي الخمسينيات من القرن الماضي، وبعد قيام إسرائيل عام 1948، قام د. والتر لودرميلك - الخبير في التربة ويطلق اسمه حالياً علي كلية الهندسة الزراعية في معهد التخنيون الإسرائيلي- بتقديم اقتراح تنفيذ المشروع بمسار بين حيفا والبحر الميت.

وفي عام 1977 قامت الحكومة الإسرائيلية بتشكيل لجنة تخطيط لدراسة ثلاثة اقتراحات لربط البحرين الميت والمتوسط، وعرض آخر بربط البحر الأحمر بالبحر الميت عند إيلات، وكانت النتيجة النهائية لتوصيات هذه اللجنة التأكيد علي أفضلية مشروع توصيل البحر الميت بغزة، باعتبارها الأكثر جدوي اقتصاديا أما اقتراح توصيل البحر الميت بإيلات فقد اعتبرته اللجنة هو الأسوأ والأقل من حيث الجدوي الاقتصادية، وينبغي أن نضع في الاعتبار أن غزة في هذه الفترة من السبعينيات كانت تحت الاحتلال الإسرائيلي منذ حرب 1967.

وفي الثمانينيات وعن طريق البنك الدولي قامت شركة "هارزا" للهندسة- وهي شركة أمريكية مقرها في شيكاغو- بعمل دراسة للمشروع حتي عام 1996، وهو تاريخ آخر دراسة أجرتها هذه الشركة لمشاريع كان معظمها يهدف إلي توليد الطاقة لإسرائيل، لكن في دراسة عام 1996تم تغيير جوهر المشروع وهدفه، حيث استبدل بقناة ربط البحر الميت بالبحر المتوسط، بقناة أخري تربط البحر الميت بالبحر الأحمر، كما تم تغيير الهدف من المشروع ليتحول إلي استهداف تحلية مياه البحر بواسطة الطاقة الكهربائية المنتجة من المشروع، ويرتبط هذا التغيير الحاد في جوهر المشروع وهدفه اتفاقية السلام التي وقعت آنذاك بين الأردن وإسرائيل، والتي يوصي بذلك البند العشرون فيها، وشجعت عليه أيضا خطة عمل كوبنهاجن التي تضمنت 35 مشروعا كان أكبرها مشروع "خطة تطوير وادي الأردن" من خلال اللجنة الاقتصادية الثلاثية والتي تضم الولايات المتحدة والأردن وإسرائيل وذلك في عام 1993 وفي عام 1994 أقرت المجموعة الخامسة- والمسماة مجموعة العمل الإقليمية للتنمية الاقتصادية في اجتماعها بالرباط هذا المشروع، ثم أعلن رسميا إحياء هذا المشروع في القمة العالمية للتنمية المستدامة التي عقدت في جنوب أفريقيا في عام 2002.

وفي جلسات مؤتمر المنتدي الاقتصادي العالمي الذي عقد في الأردن في عام 2003 وفي مايو 2005 عقدت عدة اجتماعات ضمت وزير البنية التحتية الإسرائيلي يوسف بارتيسكي، ود❖ أفيشي بريمرمان رئيس جامعة بن جوريون بالنقب، ووزير الري الأردني، وقد استهدفت الاجتماعات مناقشة ثلاث نقاط رئيسية هي : أولا: هل المشروع ممكن تنفيذه من الناحية التقنية، ثانيا: ما التكلفة المالية للمشروع؟، ثالثا: ما الجوانب السلبية للمشروع؟

وبالطبع لم يكن الجانب الإسرائيلي بحاجة إلي هذه الدراسات فقد أجري دراسات كثيرة وعميقة حول المشروع طوال السنوات الماضية، ولكنه كان بحاجة إلي تسويق الفكرة القديمة، خاصة بعد أن روج لها شيمون بيريز نائب رئيس وزراء إسرائيل في كتابه المعروف "شرق أوسط جديد"، حين تحدث عن مجالات التطبيع في العلاقات بين إسرائيل والدول العربية في إطار توقيع اتفاقيات سلام معها.

فكرة المشروع وأهدافه من وجهة النظر الإسرائيلية يعتبر البحر الميت - بحيرة لا قيمة لها، تشكل جزءًا من الحدود بين إسرائيل والأردن، شديدة الملوحة، إذا تبلغ نسبة الملوحة بها تسعة أضعاف ملوحة المحيط، ولذلك تنعدم فيها وحولها مظاهر الحياة، وتتزايد الملوحة بها باستمرار رغم أن نهر الأردن يصب بها بعض مياهه العذبة، وكذلك جداول مائية أخرى، ويمتد البحر الميت بطول حوالي 85كم فاصلا الأردن عن إسرائيل، وبعرض 18 كم في المتوسط، كما يقع مستواه تحت سطح البحر بحوالي 399 متراً، ولذلك يعتبر أكثر الأماكن انخفاضا في العالم.

دراسة علمية

وتتحكم الحقائق العلمية والجغرافية في هذا المشروع، فوادي عربة ارتفاعه يتراوح بين 100 و200 متر عن سطح البحر ولذا فإن أي مشروع يستلزم أن يتم حفر قناة تسير من إيلات علي خط الحدود الإسرائيلي- الأردني بطول عشرة كيلو مترات ثم ترتفع المياه بواسطة طلمبات عملاقة إلي أعلي لتتحول في مواسير أو أنفاق داخل الجبال، من خلال ترعة صناعية، وذلك بطول إجمالي للقناة التي ستربط البحرين الأحمر والميت يبلغ 320 كم، وعبر هذه القناة سيتدفق 2 مليار متر مكعب بشدة من مياه البحر الأحمر إلي البحر الميت شديد الانخفاض، ثم تمر المياه عبر طلمبات إلي الجانب الأردني حتي تصل إلي البحر الميت❖

وتسعي إسرائيل إلي الإسراع في بدء تنفيذ هذا المشروع لخدمة عدة أهداف، منها ماهو معلن ومنها ما هو خفي، أما المعلن منها فيتمثل في انقاذ البحر الميت من الجفاف بعد أن جفت مصادر المياه العذبة التي كانت تصب فيه، حيث حولت إسرائيل 92٪ من المياه التي كانت تذهب من الأنهار إلي البحر الميت لصالح استخداماتها الزراعية، خاصة نهر الأردن، وبحيث يعود منسوب المياه الذي كان عليه بداية القرن في غضون 20 عاما من بدء تشغيل المشروع.

كما تضمن إسرائيل من خلال المشروع صناعة تحلية المياه ووجود عميل دائم يعتمد عليها في الحصول علي احتياجاته من مياه البحر المحلاة، ففي المخطط الإسرائيلي أن تقنع إسرائيل كل من الأردن والسلطة الفلسطينية بشراء المياه من خلال منشآت تحلية المياه التي سيتم إنشاؤها علي امتداد القناة.

أما الأهداف غير المعلنة لهذا المشروع فتتمثل في حصول إسرائيل مجانا بموجب هذا المشروع علي مياه لتبريد مفاعلاتها النووية الجديدة التي تنوي إقامتها في النقب، حيث تنوي إسرائيل إقامة مفاعل في هذه المنطقة بعد أن بلغ مفاعل ديمونة سن "الشيخوخة" وتعدي العمر الافتراضي 20 سنة ليصل إلي 34 سنة❖

بالإضافة إلي السيطرة علي مزيد من مياه أنهار الأردن واليرموك ومياه الضفة الغربية العذبة، بينما تزود الأردن والفلسطينيين بمياه بحر محلاة، وذلك عبر خمس محطات تحلية مياه، وهذا سيوفر لإسرائيل المياه العذبة التي تحتاجها لإقامة مجتمعات عمرانية جديدة تجذب 1-2 مليون مهاجر جدد، وتساعد علي إعادة توزيع السكان المكدسين في المنطقة الساحلية ووسط إسرائيل، وبما يقلل المخاطر الأمنية التي قد يتعرضون لها من قصف الصواريخ العربية والإيرانية- هذا إلي جانب مشاريع زراعية وصناعية، يتم تصدير إنتاجها إلي الخارج للدول العربية المجاورة في إطار عمليات التطبيع المستمرة في العلاقات❖❖

وأيضا خلق صناعات إسرائيلية جديدة كصناعة تحلية المياه وضمان عميل دائم يعتمد علي إسرائيل، حيث ستبيع للأردنيين والفلسطينيين المياه المحلاة بنسبة الثلثين إلي الأردن والثلث للفلسطينيين بسعر دولار و30 سنتا، بينما تبلغ التكلفة الفعلية للمتر المكعب من مياه التحلية 25 سنتا للمتر المكعب.

تناقض الحقائق

أسئلة معلقة تكشف حقيقة الأهداف الإسرائيلية رغم الواجهة البراقة لهذا المشروع فإن تجاهل إسرائيل حقائق علمية واضحة تطلق علامات استفهام كبيرة حول تمسكها بهذا المشروع حيث تؤكد هذه الحقائق العلمية أن نقل مياه البحر المتوسط أكثر جدوي وأوفر اقتصاديا، وتتمثل هذه الحقائق في الآتي:

1- إن متوسط درجة الملوحة في البحر المتوسط 25 جرامافي اللتر، بينما تبلغ ملوحة مياه البحر الأحمر 43 جراما في اللتر- أي أن ملوحة البحر الأحمر تزيد 72٪ علي ملوحة البحر المتوسط.

2- أما ما تزعمه إسرائيل من انقاذ البحر الميت ليكون مصدرا للسياحة فإن الخبراء ينفون ذلك لأنه في حالة نقل مياه البحر الأحمر الأكثر ملوحة إليه سيتحول لون مياه البحر الميت إلي اللون الأبيض، ثم الأحمر الدامي نتيجة تفاعل بكتيريا الحديد، وهو ما ينفي الحديث عن ضرورة الاستفادة منه سياحيا وشق قناة وأنقاض من إيلات علي البحر الأحمر وعبر وادي عربة إلي مدينة سدوم علي البحر الميت ستكون مسافتها 320 كم وعبر أرض بهاصخور نارية يصل ارتفاعها في بعض المناطق إلي أكثر من 200 متر، وهو ما سيزيد تكاليف شق القناة إلي أكثر من 50 مليار دولار، لذلك فإن تسديد قروضها لن يكفيه عائدها بالكامل لعشرات السنين.

الأهداف الحقيقية

إصرار إسرائيل علي تنفيذ مشروع شق القناة من البحر الأحمر إلي البحر الميت رغم الصعوبات السابق ذكرها مقارنة بشق القناة من البحر المتوسط إلي الميت، يؤكد نظرية المؤامرة في هذا المشروع، كما يؤكد أيضا صحة الأهداف الإسرائيلية غير المعلنة للمشروع والسابق الإشارة إليها، خاصة أن هذا المشروع بوضعه الحالي يرتبط بمشروعات استراتيجية إسرائيلية أخري تتمثل في الآتي:

1- ما أعلنه وزير المواصلات الإسرائيلية في فبراير 2007 علي الاتفاق مع الأردن علي مشروع لإنشاء خط سكة حديد يمتد من إسرائيل إلي العراق ودول الخليج، وإنشاء منظومة للنقل الإقليمي، يكون محورها الأساسي إسرائيل، ويقتضي المشروع إنشاء خطة سكة حديد أكثر تطويرا بين حيفا وعفولة وبيسان، ثم يربط هذا الخط بخط السكة الحديد الأردني في منطقة معبر الشيخ حسن، ومن هناك إلي العراق ثم من العراق إلي دول الخليج العربية، والهدف واضح وهو نقل البضائع الواردة من مختلف دول العالم في شمال البحر المتوسط إلي تلك المنطقة من موانئ إسرائيل علي البحر المتوسط إلي العراق ودول الخليج عبر الأردن، وهو ما يوفر حسب دراسات المشروع آلاف الكيلو مترات من طريق مرور هذه البضائع عبر قناة السويس.

وقد جاء تجاوب الأردن مع المخطط الإسرائيلي المذكور ارتباطا بما يمكن أن يضخه المشروع من عائدات ومزايا مادية يحتاجها الاقتصاد الأردني بصورة كبيرة وغني عن القول ما يحمله هذا المشروع من مخاطر علي عائدات قناة السويس وبالتالي الاقتصاد المصري.

2- مشروع إسرائيلي آخر لنقل بترول غرب سيبيريا الروسي عبر إسرائيل إلي شرق آسيا، وذلك باستخدام خط تيب لاين الإسرائيلي القديم وهو مشروع يشكل تنافسا حادا لقناة السويس ، وبالتالي يطرح تحديات جديدة أمام الاقتصاد المصري.

ناهيك عن المخاطر الأمنية والبيئية التي قد تصيب مصر من شق قناة مائية تربط البحر الأحمر بالبحر الميت وتوليد الكهرباء منها وما يستتبع ذلك من إقامة مجتمعات عمرانية متاخمة للحدود المصرية❖

إقامة مفاعلين نوويين إضافيين في منطقة النقب يتم تبريدهما بمياه القناة المقترحة، سيؤدي إلي مضاعفة حجم الوقود النووي الذي تحصل عليه إسرائيل عدة مرات، فإذا كان مفاعل ديمونة الحالي بعد أن زادت طاقته من 26 ميجاوات إلي 70 ميجاوات ثم بعد ذلك إلي 150 ميجاوات ينتج حاليا 45 كيلو جراما بلوتونيوم سنويا، فلنا أن نتصور حجم ما يمكن أن ينتجه مفاعلان نوويان يعمل كل منهما بطاقة 1000 ميجاوات في المستقبل، فإن إسرائيل في حالة بنائها المفاعلين النوويين الجديدين في النقب سيكون لديها من الوقود النووي الصالح لبناء أسلحة نووية ما يمكنها من بناء مئات من القنابل ورءوس الصواريخ النووية، ناهيك عما سيترتب علي ذلك من زيادة حجم النفايات النووية الناتجة عن هذه المفاعلات، والتي ستزيد من تلوث البيئة في منطقة البحر الأحمر كلها.

لايمكن استبعاد استكمال المرحلة الأولي من المشروع - وهي قناة تربط البحر الأحمر بالميت، بمرحلة ثانية للمشروع توصل البحر الميت بالبحر المتوسط، وبما يشكل منافسة خطيرة لقناة السويس التي تعتبر أحد الموارد الرئيسية للعملة الحرة بالنسبة للاقتصاد المصري، وبما يسلب مصر أحد مصادر قوتها الاقتصادية❖ أن اعتماد الأردن والفلسطينيين علي مياه تحلية مياه البحر التي تبيعها لهما إسرائيل بأسعار مرتفعة، سيجعل إسرائيل تضع يدها علي مصدر رئيسي للحياة وهي المياه العذبة الصالحة للشرب والزراعة، وبتحكم إسرائيل في هذا المصدر الحيوي للحياة، سوف تشكل عامل ضغط شديد علي الشعبين الأردني والفلسطيني.

كما أن تدفق حوالي 2 مليار متر مكعب سنويا من مياه البحر الأحمر إلي البحر الميت سيحدث تأثيرات بالغة الخطورة علي كنوز وثروات البحر الأحمر في المنطقة المصرية، حيث مناطق الشعب المرجانية وحدائقها التي لاتقدر بثمن، والأسماك الملونة النادرة التي ازدهرت بها جنوب سيناء سياحيا، إذ ستتغير الخصائص البيئية للبحر الأحمر وتياراته المائية، مما سيحدث تدميرا للشواطيء والأحياء المائية والشعب المرجانية التي تعيش في بيئة البحر الأحمر منذ آلاف السنين.

ولما كان من المعروف أن القشرة الأرضية في منطقة البحر الأحمر بشكل عام غير متماسكة ورقيقة، الأمر الذي عرضها في الماضي لعدد من الزلازل والهزات الأرضية الخطيرة، لذلك فإن نقل 2 مليار متر مكعب من مياه البحر الأحمر سنويا إلي البحر الميت عبر القناة المقترحة، وإسقاطها من ارتفاع يزيد علي 200 متر سيزيد من اضطراب القشرة الأرضية وتشققها التي ستتأثر بها جميع بلدان المنطقة كما حدث في الماضي.

أمن قومي

دخول مشروع قناة البحرين إلي حيز التنفيذ بعد قبول البنك الدولي بتمويله، يفرض علي الجهات المسئولة في مصر أن تكون في منتهي اليقظة للآثار السلبية الأمنية والاقتصادية لهذا المشروع علي مصر وأمنها القومي ، خاصة علي المدي البعيد، ذلك أن مسائل الأمن القومي لأي دولة لا ترتبط بما هو واقع أو متوقع في المستقبل القريب فقط، بل يجب استشراف التهديدات التي ستقع في المستقبل البعيد❖

أن التحرك السياسي المصري بشكل خاص والعربي بشكل عام لمواجهة مخاطر مشروع البحرين مبكرا، مطلوب وبشكل فوري لاحتواء هذا المشروع وإيقافه أو تحجيمه، خاصة أن الوضع المتأزم في الشرق الأوسط يتطلب من الجميع منتهي اليقظة لما يجري خلف الكواليس❖

فدق ناقوس الخطر من هذا المشروع في وسائل الإعلام وفي مجلس الشعب والهيئات والمؤسسات الحكومية والشعبية، يعتبر واجبا قوميا يساعد صانع القرار السياسي في مصر علي التحرك بإيجابية لمواجهة مخاطر هذا المشروع وغيره من المشروعات الإسرائيلية التي تستهدف الإضرار بمصالح مصر وتقويض أمنها، والمخطط لها منذ زمن ولتقرأ ماكتبه الزعيم الصهيوني القديم "جابوتنكي عام 1992 عن ما سماه "الكومنولث العبري" الذي تضم إسرائيل في مفهومه الأراضي شرق وغرب نهر الأردن، بما في ذلك حقوقهم في المسجد الأقصي ولكن جابوتنسكي لم يتحدث فقط عن حق اليهود في المسجد الأقصي ولكن تحدث أيضا عن الكومنولث العبري الذي تشكل فيه إسرائيل قوة إقليمية عظمي مسيطرة يدور في فلكها دويلات عربية ضعيفة ومنقسمة طائفيا ومذهبيا وعرقيا، تهيمن عليها إسرائيل سياسيا وأمنيا واقتصاديا، وهو ما تجد انعكاساته اليوم فيما يحدث في فلسطين والعراق ولبنان والسودان من حروب أهلية، وما يستتبعها من تقسيمات عرقية وطائفية تحقق أحلام جابوتنسكي الذي تنبأ بها منذ أكثر من خمسة وسبعين عاما.

بكل الاتجاهات

أطول رجل في العالم يصبح أطول أب في العالم

بكين / 14أكتوبر/ رويترز:-

رزق الصيني باو شي شون أطول رجل في العالم هذا الأسبوع بأول طفل له وهو ذكر جاء طوله وسطا بين أبيه الضخم وأمه ذات الطول المتوسط.

وقال كبير الاطباء في مستشفى زونهوا باقليم هيبي لرويترز أن طول ابن باو عند ولادته بلغ 56 سنتيمترا.

باوشي شون اطول رجل في العالم

وعلى الرغم من أن طول ابن باو يعتبر أكبر من متوسط طول الاطفال عند الولادة إلا أنه لم يحطم رقما قياسيا سجله رضيع صيني آخر العام الماضي ويبلغ 75 سنتيمترا ليصبح أطول رضيع عند الولادة.

وتزوج باو وهو من منطقة منغوليا الداخلية ويبلغ طوله 2.36 متر العام الماضي شيا شو جوان وهي قزم بالنسبة له وطولها 1.68 متر.

وكان باو خسر لفترة قصيرة لقب أطول رجل في العالم الذي منحته إياه موسوعة جينيس للارقام القياسية لصالح الاوكراني ليونيد ستادنيك لكنه استعاده في أغسطس آب عندما رفض ستادنيك قياس طوله وفقا لمعايير جديدة.

ويقوم باو راعي الغنم السابق بأعمال مثيرة من أجل الدعاية كما وصل عدد الجهات الراعية لحفل زفافه العام الماضي الى 15 شركة على الاقل.

نموذج للسيارة نانو يجذب الجماهير في مهرجان هندوسي

كولكاتا – الهند/14أكتوبر/ رويترز :

يجتذب نموذج مكبر للسيارة نانو رخيصة الثمن التي تنتجها شركة تاتا موتورز الحشود بالالاف في مهرجان هندوسي بشرق الهند.

وأعلنت تاتا موتورز يوم الجمعة انها ستنقل مصنعها الذي ينتج السيارة نانو التي قيل انها أرخص سيارة في العالم من ولاية البنغال الغربية بعد أن أجبرت احتجاجات عنيفة من المزارعين الذين فقدوا أراضيهم الشركة على التوقف عن بناء المصنع.

(ناتو)نمودج للسيارة الهنديه رخيصة الثمن

وأثار قرار الشركة استياء الكثيرين في الولاية. ونظم نحو 500 شخص يوم السبت بينهم مزارعون وعمال من شركات البناء اجتماعا حاشدا في المنطقة التي كان من المفترض اقامة فيها مصنع نانو احتجاجا على قرار تاتا بالانسحاب.

وجاءت خطوة تاتا قبيل مهرجان يستمر أربعة أيام للاله الهندوسي دورجا.

وتنظم الاحتفالات بالمهرجان في أنحاء الهند وكولكاتا عاصمة ولاية البنغال الغربية التي يقطنها أكثر من 15 مليون نسمة وأقيم أكثر من ألفي سرادق لعرض أنواع مختلفة من الحرف.

وكان النموذج الاصفر للسيارة نانو الذي بلغ طوله نحو ثلاثة أمتار بين عدة نماذج تمثل الحرف الحديثة التي صنعتها مجتمعات محلية في وسط كولكاتا.

ووضع نموذج السيارة نانو على خلفية مصنع عملاق مغلق.

وقال براديب جوش وهو زعيم محلي "نموذج السيارة عنصر جذب كبير للجمهور. ولكننا صنعنا النموذج ليجذب الانتباه للحاجة الى التصنيع في ولاية البنغال الغربية."

ومضى يقول "نريد أن تكون البنغال الغربية هي المكان الذي تنطلق منه السيارة نانو. نريد أيضا أن نلفت الانظار الى اغلاق 50 ألف وحدة صناعية خلال العقود الماضية من خلال اقامة نموذج لمصنع مغلق."

مع الأحداث

د. رضوان السيد

القاعدة والإرهاب والتطورات الجديدة

يبدو من كلام أيمن الظواهري عشية الحادي عشر من سبتمبر لهذا العام أنّ القاعدة تضعُ لنفسِها هدفين، أحدهما قديم، والآخر مستجدّ. الهدف القديم: استمرار مقاومة «الحرب الصليبية» على الإسلام، أي الاستمرار في مواجهة الولايات المتحدة. والهدف الجديد: إيران باعتبار تحالُفها مع الولايات المتحدة من قبل، وباعتبار إضرارها بقضايا المسلمين، ومن ضمنها قبول حزب اللّه للقوات الدولية بجنوب لبنان!

هذا لناحية الأهداف. أمّا على الأرض فلا تتحرك للقاعدة إلا في ساحتين: الحدود الجبلية بين باكستان وأفغانستان، وما يُسمّى القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، على حفافي الصحراء المحاذية للجزائر والمغرب وموريتانيا.

ولنتفحص هذه الخارطة الجديدة أيديولوجياً وميدانياً لكي نرى أين تتجه الأمور، وسط التنافس المستجدّ بين عدة فُرقاء على إدانة الإرهاب، والتبرع بالمسارعة لمكافحته والقضاء عليه، وكان بين آخر مَنْ قالوا ذلك الرئيس السوري بشار الأسد، والمرشحان للرئاسة الأميركية.

أمّا لجهة الهدف الأول؛ فإنّ «الحرب على الصليبيين» ما عادت متابعتُها ممكنة لا في الولايات المتحدة، ولا في البلدان الأوروبية. وما بقي هناك غير مكانين يمكن التماسُ من خلالهما مع العدوّ: أفغانستان، بسبب وجود قوات حلف الأطلسي فيها، وجنوب لبنان، بسبب وجود القوات متعددة الجنسية. وكانت الساحة المثالية لمواجهة الأميركيين في نظر القاعدة طوال السنوات الخمس الماضية هي الساحة العراقية، وفيها 150 ألف جندي أميركي، وقوات أوروبية وغير أوروبية. وبعد مذابح مهولة بين الطرفين، والتسبُّب في نزاع شيعي/ سني، استطاع الأميركيون هزيمة القاعدة أو توجيه ضربات قاصمة لها من خلال عدة أساليب: تجفيف منابعها وخطوط إمدادها بإقفال الحدود مع سورية، وكانت الحدود المتاحة أكثر من غيرها للقاعدة ولكلّ من يريد مقاتلة الأميركيين بالعراق. والأسلوب الثاني: إغراء رجالات القبائل العراقيين بالانقلاب على القاعدة، وتشكيل تنظيمات لمقاتلتها. وقد نجح هذا الأسلوب بسبب مضايقة القاعدة للعراقيين السنة بالأهداف الغامضة، وبالانتقال من مصارعة الاحتلال إلى مصارعة الشيعة، وبالإعلان الوهمي لدولة العراق الإسلامية. وقد بلغ عددُ المُنضوين في «قوات الصحوات» ما يزيد على المائة وخمسين ألفاً. والأسلوب الثالث في مكافحة القاعدة بالعراق كان بفرض أهداف وتحركات عليها من طريق التشكيلات القتالية الأميركية، جعلتْ من المستحيل الاستمرار بأسلوب حروب العصابات والتفجير.

وهكذا فقدت القاعدةُ الميدانَ العربيَّ الرئيسيَّ لنشاطها؛ في حين ما استطاعت الإستمرار في الحركة بالمملكة العربية السعودية والدول الخليجية الأخرى. وإذا عُدْنا إلى نقطتي التماسّ الباقيتين واللتين ذكرناهما من قبل في جنوب لبنان، وعلى الحدود بين أفغانستان وباكستان، ربما أمكن لنا أن نتبيَّنَ أسبابَ سُخْط الظواهري على إيران وحزب اللّه. ففي جنوب لبنان هناك القوات الدولية، وهناك حزب اللّه. وقد حدثت عدة عملياتٍ غامضة ضد القوات الدولية عامي 2007 و2008، ويبدو أنها أُحبطت بالتعاوُن بين الحزب والقوات الدولية. ومع أنه ليس من المؤكَّد أنّ القاعدة هي التي قامت بتلك العمليات؛ فإنّ الذين تسلّلوا إلى الجنوب كان لا بدّ أن يعرف السوريون بهم. وهكذا ما سخط الظواهري على السوريين رغم أنهم أوقفوا دعم التسلُّل إلى العراق. بينما سخط على حزب اللّه لأنه يعترف بالقوات الدولية، ويحميها! وكان الظواهري قد قال من قبل إنه متردّدٌ في العمل لتحرير فلسطين من جنوب لبنان لأنّ الذين يعملون هناك هُمْ عملاء لجهاتٍ إقليمية ودولية، وهو لا يريد أن يظهر بمظهر المُحالف لهذا الطرف الإقليمي أو ذاك، لأنه عندها لا يكونُ جهاداً في سبيل اللّه! أمّا الآن فصارت حجتُهُ أنّ النضال مستحيلٌ هناك لدفاع حزب اللّه عن القوات الدولية! لكنّ الملحوظ في كل الأحوال أنّ المستهدَف بالدرجة الأولى من جانب جماعة الظواهري هم القوات الدولية (= الصليبيين) وليس جنود الجيش الإسرائيلي. وبذلك تبقى تلك النقطة الغامضة في برنامج القاعدة وفي «جبهة مجاهدة اليهود والصليبيين» الشهيرة من العام 1998، أي أنّ القاعدة وبخلاف كل التنظيمات الثورية القومية والإسلامية، ما جعلت مكافحة الصهيونية وإسرائيل ضمن أولوياتها باستثناء وجود «اليهود» في عنوان الجبهة العتيدة!

أمّا الجبهة الأفغانيةُ/ الباكستانية، والتي يبدو أنّ ابنَ لادن والظواهري، كليهما، يوجدان فيها؛ فلا تبدو مستعصيةً على الإخضاع، رغم ازدياد الاشتباكات هناك. ذلك أنّ الجيش الباكستاني يحاول القيام بمحاولةٍ تُشبه محاولة الأميركيين بالعراق مع قوات الصحوة. والمَعْنيُّ أنّ القبائل هناك، وبعد وفاة الأخوين محسود، تميلُ إلى التهدئة مع الجيش، وليس مع الأميركيين، من طريق التعاوُن مع الجيش في إنشاء قوات شبه نظامية حليفة له، تحمي تلك المناطق، وتطرد عناصر القاعدة منها. وما نجحت المحاولة حتى الآن، لكنّ الآمال بالنجاح قائمة، بعد اشتداد التوتُّر بين الجيش والقبائل من جهة، وبين الجيش والأميركيين من جهةٍ ثانية. وستكونُ الخطوةُ التالية للتهدئة على سائر الجبهات مساعدة الأميركيين للجيش الباكستاني على إقامة قوات الصحوة الباكستانية في غياب الزعامة المتشددة لآل محسود.

من جهةٍ ثالثةٍ يحاول الأفغانُ منذ مدة إجراء مفاوضاتٍ مع طالبان أفغانستان بشرطين: التخلي عن العنف، والتخلي عن القاعدة. وما نجحت المحاولات هذه، وإن يكن كثيرون من الصفّ الثاني والثالث من طالبان، يتعاونون اليوم مع الحكومة الأفغانية.

وإذا نجحت هذه المحاولات، فلا تبقى غير قاعدة المغرب العربي. والمعروف أنّ هؤلاء كانوا موجودين من قبل بمناطق التخوم الصحراوية، وهم من أهل تلك الجهات. وما فعلوهُ هو أنهم أعلنوا الانتماء للقاعدة، ووافقت هي على ذلك من خلال بعض المبعوثين. وليست هناك وسيلة لمعرفة مدى قوتهم، ولا مدى جاذبيتهم أو قدرتهم على اجتذاب العناصر الجديدة. وهم بالطبع أقلّ خطراً من العناصر على الحدود بين أفغانستان وباكستان إذ هم أقلّ تنظيماً وعدداً، ولا يملكون أهدافاً واضحة، لكنهم من جهةٍ ثانية ليسوا مُحاصَرين كحصار الآخرين على الحدود السالفة الذكر.

وهكذا لن تكون لتهديدات الظواهري للصليبيين والإيرانيين آثارٌ كبيرة. فهو لا يستطيع أن يفعل شيئاً في إيران، وما عاد يستطيع ذلك في العراق. كما لا يستطيعُهُ في جنوب لبنان. والطريف أنه في هذه الساحة، يبدو الرئيس الأسد الذي عرف القاعدةَ جيداً في السنوات الماضية، الأكثر تشدداً ضدّها. ويرجع ذلك بالطبع إلى العلائق الدولية التي يريدُ تحسينها بزعم مكافحة الإرهاب. أمّا العناصر المتشرذمة من بقايا من كانت لهم ارتباطات بالقاعدة، فهم تحت سيطرة الأجهزة السورية، وقد سبق أن استخدموهم في كل مكانٍ وبخاصةٍ في لبنان. ويستحيل استخدامُهُم بعد الآن في سورية كما في لبنان!

بيد أنّ بعضَ المراقبين يشيرون إلى أنّ الظواهريَّ والرئيس الأسد على حدٍ سواء، عندما يتحدثان سلباً أو إيجاباً عن القاعدة، يعْنون بذلك العناصر الموجودة بمخيَّم عين الحلوة، والمشهدُ فيهِ غير واضح المعالم. ولا يدري أحدٌ هل أولئك الذين يذكرون عَلَناً أسامة بن لادن، كانت لهم ارتباطاتٌ به بالفعل أم هي أوهامٌ ورغبات، شأن شاكر العبسي، وأتباعه؟!

ولنقل كلمةً عن الجاذبية الممكنة الباقية للقاعدة، ومدى استطاعتها اجتذاب أو تجنيد عناصر جديدة، وإن عملت بشكل مستقلّ. فقد قبض السعوديون قبل مدة على شبان وشاباتٍ يعملون ويعملن على التجنيد عبر الانترنت. ولا يمكن بالطبع تقدير التأثير الذي يملكه هؤلاء. لكنه ولا شكّ محدودٌ بعد مُضيّ هذه السنوات.

وفي الخاتمة، على مشارف العام الثامن لتفجيرات الحادي عشر من سبتمبر، يتصاعد التهويل بالقاعدة من جانب بعض مرشحي الرئاسة الأميركية، ومن جانب بعض الأنظمة العربية. والقاعدة موجودةٌ (في الإعلام) في كل مكان، وغير موجودة في أيّ مكان. والذي يحدثُ منذ العام 2006 أنّ نصف الذين يقومون أو يزعمون القيامَ بعملياتٍ باسم القاعدة، هم مُختَرَقون من الأنظمة ومن الولايات المتحدة. وكذلك الأمر مع الذين يهدد بهم النظام السوري باعتبارهم القاعدة هم في الحقيقة بقايا تلك الظاهرة السالفة.

إنّ المقصود هنا ليس القول إنّ القاعدةَ ما عادت تشكّل تهديداً. بل الذهاب إلى أنّ كثيرين بعد هذه السنوات من الذين واللواتي، يزعمون العمل مع القاعدة يقعون الآن في خدمة أسيادهم الجُدُد، وهؤلاء الأسياد منهمكون في العمل على بيعهم أو على المُساومة عليهم أو التهويل بهم. أمّا الأصول الأيديولوجية والجهادية فقد خضّبها الدم، وسقطت من الوعي ومن الواقع. فماذا يعني الانتحاريُّ الآن، وماذا كان يعني قبل عشر سنوات؟! وماذا تعني القاعدةُ الآن، وماذا كانت تعني بعد العام 2001؟ أسئلةٌ لا بد من الإجابة عليها قبل الاستمرار في التهويل بالإرهاب الذي ما عاد استغلالُهُ وقبضُ ثمنه ممكناً حتّى من جانب الأميركيين!

عن/ صحيفة «الشرق الوسط» اللندنية